

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

من هو الصحابي الذي حظّه الله بأن يكون ناطقاً رسمياً للنبي وهل ينبغي على المسلم أن يتعلم اللغة

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الواحد والأربعين من دروس سير صحابة رسول الله، وصحابي اليوم سيدنا ثابت بن قيس الأنصاري .

لحكمة بالغة اختار الله سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام أصحابه، هم قِمَمٌ في البطولة، لكن البطولات منوّعة، وهذا الصحابي الجليل كان الناطق الرسمي باسم النبي عليه الصلاة والسلام، كان خطيبه، أي آتاه الله قدرةً بيانية، والإنسان يحتاج إلى أن يكون متمكناً من اللُّغة، لأنها قالب المعاني، والمعاني لا يمكن أن توصلها إلى الناس إلا بقالبٍ مقبول .

فإذا اختار أحدكم أن يكون داعيةً إلى الله عزّ وجل، وهي صنعة الأنبياء، وهي أشرف عملٍ على وجه الأرض، لا بدّ له إضافةً إلى إيمانه، وتوحيده، وإخلاصه، واتصاله، وعبادته، وأوراده، وبذله، وتضحّيته، وانضباطه، إضافةً إلى كلّ ذلك، لا بدّ له من بيان، لذلك كما قال سيدنا عمر:

### ((تعلموا العربية فإنها من الدين))

فأحياناً في مجّمع كبير، مهما كنت متقدّ الإيمان، ومهما كنت شديد الإخلاص، إن لم تكن متمكناً من اللُّغة فلن تستطيع أن تنقل أفكارك الدقيقة، ومشاعرك الإيمانية، ولا أن تؤثر في الآخرين، فهذه اللُّغة علم الأدوات، فحينما تريد أن تنطق بالحق فلا بدّ لك من أداة، إنما هي اللُّغة، لذلك فالذي يبذل جهداً في تعلّم اللُّغة، وتعلم تلاوة القرآن، فله ثوابه عند الله تعالى، ويجب أن تتلو القرآن تلاوةً صحيحةً، ويجب أن تتكلم بلغةً صحيحةً، مبدئياً صحيحةً، وبعد قليل نقول لك: لا بدّ من لغة أدبية .

قال أحدهم: تكاثرت عليّ المصائبُ، وهذا كلام فصيح، وقال المتنبي:

رمانى الدهرُ بالأرزاءِ حتى فوادي في غشاءٍ من نبالٍ  
فصرتُ إذا أصابتنى سهامُ تكسرتِ النصالُ على النصالِ

هذه صورة أدبية، والتعبير إما أن يكون تعبيراً مبتدلاً، عامياً، سوقياً، وإما أن يكون تعبيراً صحيحاً، وإما أن يكون تعبيراً أدبياً، فنحن قبل كل شيء، نطالب الأخوة الذين يطمحون إلى أن يكونوا دعاة إلى الله عز وجل، أن يمتلكوا قدرةً بيانية، أن يكون تعبيرهم صحيحاً فصيحاً، إذا أتقنوا هذه الناحية، نطالبهم أن يرقوا بمستوى لغتهم إلى المستوى الأدبي .

فسيدنا ثابت بن قيس، هذا الصحابي الجليل كان خطيب النبي عليه الصلاة والسلام، فكلما كانت تأتيه الوفود، وبتبارون أمامه بشعرهم وخطاباتهم، يدعو النبي الكريم سيدنا ثابت بن قيس ليقف خطيباً ينطق باسم النبي عليه الصلاة والسلام .

ولا أزال أعيد وأكرر؛ إن كل الحظوظ التي يمكن أن يؤتيك الله إياها، ابتداءً من وسامتك، ومن طول قامتك، ومن نصاعة لونك، ومن راحة عقلك، ومن طلاقة لسانك، ومن كثرة مالك، ومن أي حظٍ يؤتيك الله إياه، هذه الحظوظ، إما أنها درجات ترقى بها إلى أعلى عليين ، وإما أنها دركات تهوي بها إلى أسفل سافلين .

فلذلك تعلموا العربية فإنها من الدين، وإنه لشيء عظيم جداً أن تتقن لغة القرآن، ولا تعرف هذه النعمة إلا إذا التقيت بمسلمٍ من بلدٍ لا ينطق بالعربية، أنت تستمع إلى اللغة العربية، وإلى القرآن الكريم، وإلى الحديث الشريف بيسرٍ وراحةٍ من دون عناءٍ ولا جهدٍ، وغيرك يتلوى على أن يفهم معنى هذه العبارة، لذلك هؤلاء العرب الذين جعلهم الله أمّةً وسطى، فالذي ولد في بلدٍ عربي، ونشأ على اللغة العربية، فهذه نعمةٌ لا تقدّر بثمن، فعليه أن يصقل لغته صقلاً، وأن يهدبها، وأن يطلب العلم .

إذا وجد أخ مؤمن عنده كتاباً صغيراً في اللغة العربية، في تيسير قواعد اللغة العربية، ألا يخطر في باله أن يسأل: ما الفرق بين قط، وبين أبدأ؟ لن أفعل هذا قط، غير صحيح، ما فعلت هذا أبدأ، غير صحيح، قط تستغرق الزمن الماضي، ما فعلته قط، ولن أفعله أبدأ، ألم يخطر ببالك أن تعرف الفرق بين (نعم، وبلى)؟ فرقٌ كبير:

### ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

(سورة الأعراف الآية: 172)

إذا قالوا: نعم، فقد كفروا، (نعم) أي لست ربنا، أما إذا قالوا: (بلى)، أي أنت ربنا، (فنعم) تثبت النفي، و(بلى) تنفي النفي، ونفي النفي إثبات، فرقٌ كبير بين نعم وبين بلى، فرقٌ كبير بين (إذا) وبين (إن)، قال تعالى:

### ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾

(سورة الحجرات الآية: 6)

(إن)، تفيد احتمال الوقوع، لكن (إذا) تفيد تحقق الوقوع، أي:

### ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

(سورة النصر الآية: 1)

لا بدّ أن يأتي نصرُ الله، أما:

### ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾

(سورة الحجرات الآية: 6)

فقد يأتي وربما لا يأتي، ألا تشناق إلى معرفة معاني الأدوات؟ ماذا تعني (أنى):

﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾

(سورة البقرة الآية: 223)

ينبغي على معرفة معنى (أنى) حكم شرعي دقيق، خاص، لا بد للزوج أن يعرفه .

لذلك فهناك كتب في معاني الأدوات، نحن درسنا في الجامعة ثمانية وأربعين حالة لـ : ما، وهذا الكتاب اسمه (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) لابن هشام النحوي، فأحد أجزائه في معاني أدوات اللغة العربية، جزء بكامله منه، أربعمئة صفحة أو أكثر، تتحدث عن أدوات اللغة العربية، فالأدوات بعضها حروف وبعضها أسماء، فهذه لغتكم، ولغة آبائكم وأجدادكم، هذه لغة نبيكم عليه الصلاة والسلام، هذه لغة القرآن، فتعلم العربية واجب ديني، لأن فهم القرآن يحتاج إلى لغة، والنطق في تفسير القرآن يحتاج إلى لغة، فأكثر الناس يقول لك في قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُ اللَّهُ﴾

(سورة البقرة الآية: 282)

يعنون: إذا تتقي الله يعلمك الله، ليس هذا هو المعنى المقصود إطلاقاً، هذا معنى غير صحيح، لو أن الله قال:

(واتقوا الله يعلمكم الله)

لصح المعنى، انظر إلى الفرق بين : يعلمكم - بضم الكاف - وبين يعلمكم - بسكون اللام - لأنه لو قال الله: اتقوا الله يعلمكم، لصار اتقوا فعل طلب، ويعلمكم جواب الطلب، مجزوم لوقوعه جواباً لطلب، أما: اتقوا الله، ثم استئناف: ويعلمكم الله، أي الله يعلمكم دائماً، علمكم بالكون، وبالعقل، وبالقرآن، وبالذم، وبالعلماء، وبالأحوال النفسية، وبالأحداث، ما دام الله يعلمكم دائماً، فلم لا تتقون الله عز وجل؟ هذا هو المعنى .

فإنسان أحياناً يشعر بأمس الحاجة لفهم خصائص اللغة، ذات مرة أحد المتعهدين استلم مشروعاً، فلما تسلم أصحاب المشروع التعهد، خصموا منه خمسمئة ألف ليرة، فأقام عليهم دعوى، واحتج بحرف (من)، ففي دفتر الشروط كتب عليه أن يقدم من أجود المواد، فقال: أسألو مجمع اللغة العربية، هل تعني من أجود المواد أن أقدم أجود المواد؟ هذه من: للتبويض، وريح الدعوى، واسترد المبلغ بشرح حرف (من) الذي كان معناه في النص التبويض، أي بعض .

كلكم يعلم هذا القرار الذي أصدره وزير الخارجية البريطاني: على إسرائيل أن تتسحب من أراضٍ احتلت، ترجمت إلى العربية: من الأراضي المحتلة، العرب وافقوا على هذا القرار، لأنه ينص على أن إسرائيل عليها أن تتسحب من كل الأراضي المحتلة، والترجمة الإنكليزية أن تتسحب من أراضٍ، فهذا التأكيد للتبويض، اختلف المعنى من الأرض إلى السماء، فاللغة العربية دقيقة جداً .

وأنا الآن لست في معرض بيان دقائق هذه اللغة، فهو بحث ممتع وطويل، فأحياناً حرف واحد يغير المعنى تغييراً جذرياً، ألم يسأل الحجاج شخصاً قائلاً له: من أنا؟ قال له: أنت قاسط عادل، فسأل أصحابه: أتدرون ماذا قال لي؟ قالوا له: مدحك، قال: لا، بل قال لي: أنت ظالم كافر، قالوا: وكيف؟ قال: قال تعالى:

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾

(سورة الجن الآية: 15)

المُقْسَطُ هو العادل، أما القاسط فهو الظالم، أما عادل، فقد قال تعالى :

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

(سورة الأنعام الآية: 1)

أي عدلوا عن الإيمان إلى الكفر، فهو عادلٌ قاسط .

على كلٍّ، من علامات إيمان الإنسان، أن يحبَّ اللغة العربية، وأن يحبَّ أهلها، وأن يتعلَّم قواعدها؛ نحوها، وصرفها، وأوزانها، وهذا شيء ممتع، لكني أرى بعض الأخوة، وأشعر أن إيمانهم قوي، وفيهم إخلاص، ولديهم عاطفة جيَّاشة، لكن إذا أرادوا أن يتكلَّموا وجدت كلامهم مضطرباً، وعباراتهم غير صحيحة، وجملهم غير متماسكة، لذلك كمن يقدِّم شراباً نفيساً بالتعبير العامي (بكيِّلة مصدِّية) لا يُشرب بها، شراب نفيس يُقدِّم في وعاء قمى، صدئ، قديم، بشع، لكن هذا الذي يقدِّم أئمن شراب بكأس فضيٍّ مثلاً فهو المناسب، فلا بدَّ أن يتناسب المضمون مع الشكل ، أنت صاحب دعوة، وأنت مؤمن، فلا بدَّ أن يكون كلامك موزوناً، لذلك: تعلَّموا العربية، فإنها من الدين .

**كيف أسلم ثابت بن قيس الأتصاري وما هي الميزة التي كان يتمتع بها قبل إسلامه ؟**

أيها الأخوة، ثابت بن قيس الأتصاري، سيّد من سادات الخزرج المرموقين، ووجهٌ من وجوه يثرب المعدودين، وكان إلى ذلك ذكياً الفؤاد، حاضر البديهة، رائع البيان، جهير الصوت، إذا نطق بزَّ القائلين .  
هذا ابن المقفع يصف صديقه، فقال:

(( لي صديقٌ كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظَّمه في عيني صِغَر الدنيا في عيني، فكان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يُكثر إذا وجد، وكان خارجاً عن سلطان الجهالة، فلا يتكلَّم بما لا يعلم، ولا يماري فيما علم، وكان أكثر دهره صامتاً، فإذا تكلم بزَّ القائلين، وكان يرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جدَّ الجدُّ فهو الليث عاديّاً، وكان لا يدلي بحجّة، إلا إذا رأى قاضياً فهماً، وشهوداً عدولاً، فعليك بهذه الأخلاق، فإن لم تستطع، فإن أخذ القليل خيراً من ترك الكثير))

بالمناسبة، على كل مؤمن أن يعلم أنه سفير هذا الدين، فعلى مستوى سفراء يعمل، فهل لاحظت ذات مرة أن سفيراً اشترى ثوباً من سوق الألبسة المستعملة؟ في اللقاءات والاجتماعات والمؤتمرات، تجد أناقاة كاملة مئة بالمئة، لماذا؟ هل يمثّل شخصه؟ لا، فهو يمثّل دولته، السفير في الأساس سيارته التي يركبها عليها علم، ما معنى ذلك؟ أن في داخلها السفير، إذا وجد العلم يكون السفير موجوداً ضمن السيارة، ولماذا ذكرت هذه الكلمة؟ لأن كل مؤمن في الحقيقة سفير هذا الدين، فمظهره الخارجي مهم جداً، وأنت كمسلم هل تليق الفوضى بدكانك، يعلوها غبار واضطراب وقذارة؟ هذا لا يجوز، أنت تمثّل هذا الدين، مكتبك، دكانك، سبورتك، خطك، أضيف إلى ذلك: أن تحسين الخط من الدين، بعض الأطباء لا تفهم من خطه شيئاً، قال عليه الصلاة والسلام:

((أنت على ثغرة من ثغر الإسلام، فلا يؤتَيْنَّ من قبلك))

فهذا سيدنا ثابت، أحد السابقين إلى الإسلام في يثرب، إذ ما كاد يستمع إلى آيات القرآن يرتلّها الداعية المكيّة

الشاب مصعب بن عمير، بصوته الشجي، وجرسه الندي، حتى أَسَرَ القرآنُ سمعه بحلاوة وقعه .  
فإذا أكرمكم الله، وتعلّمت التجويد، يمكنك أن تقرأ وترتل، فهو أجمل على قلبك، فالإنسان أحياناً يطرب لنفسه،  
فأجمل ساعات حياته يمضيها وهو يرتل القرآن ترتيلاً، فقد كان بعض أصحاب النبي إذا تلا كتاب الله بكى، فعن  
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ  
الآيَةِ، فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا؟ قَالَ: حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا  
عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ))

[منفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن عبد الله بن مسعود]

فأحد أكبر مصدر للسعادة أن تتقن قراءة القرآن، والعلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالكتابة  
على الماء، وهذا الكلام للشباب، تعلّموا تجويد القرآن، فالحمد لله الأمور ميسرة، فلا يوجد جامع إلا وفيه معهد  
لتحفيظ القرآن، وأساتذة، وتحفيظ، وتجويد، وتسميع، فالآباء والأبناء عليهم أن يبادروا إلى تعلّم تجويد القرآن  
وتسميعه .

كان هذا سبب إسلامه أنه استمع إلى صوت سيدنا مصعب بن عمير يتلو القرآن الكريم بصوت شجي، القرآن له  
سحر، القرآن له أسر، أما إذا قرئ قراءة غير صحيحة فقد أفقد المسلم قوة القرآن في تأثيره، فهل هناك شك أن  
المسلم تأتي عليه ساعة، وهو يستمع إلى كتاب الله فيذوب ذوباناً؟ قال تعالى:

﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾

(سورة الأنفال الآية: 2)

هذا كلام الله عزّ وجل، فأنا أكاد أقول: ما من ساعة أمتع في حياة المؤمن، من ساعة يقرأ فيها كتاب الله، أو يستمع  
إلى كتاب الله من صوت شجي، فيتفاعل، طبعاً إذا كان مستقيماً، ومصطحاً مع الله، وتائباً، ومنيباً، فالقرآن يحرك  
أعمق مشاعره .

كيف استقبل ثابت ومن معه من قومه رسول الله وصاحبه الصديق حينما قدما إليهم، وهل وظف ثابت لسانه في  
سبيل الحق؟

أيها الأخوة، لما قدم النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مهاجراً استقبله ثابت بن قيس في كوكبة كبيرة من  
فرسان قومه أكرم استقبال، ورحّب به وبصاحبه الصديق أجمل ترحيب  
ألا تلاحظون هذا الأدب الرفيع الذي يتخلّق به أصحاب رسول الله؟ .

سيدنا زيد الخير، ما مضى على إسلامه إلا دقائق، حتى دفع النبي له وسادة ليتكى عليها، فقال زيد:

((والله يا رسول الله! ما كان لي أن أتكى في حضرتك))

الدين كلّه أدب، في الحركة، في السكون، في الوقوف، فأنا بالأمس في جامع النابلسي، وفي أثناء الدرس رأيت  
أخاً، لا أعرفه، وقد يكون أول درس يحضره، رأيتُه قاعداً وماداً رجليه، ومرتاح تماماً، وموسعاً بينهما كثيراً،

وكانه يقعد في بستان، ألم ينتبه أن هذا مسجد، فالنبي عليه الصلاة والسلام: ما روي ماداً رجليه قط .  
 هذا سيّد الخلق، طبعاً إذا كان معذوراً، فهذا بحث آخر، فالمعذور على العين والرأس، كيفما أراد فليجلس، ولو  
 أحب أن يجلس على كرسي، أو لو أحب على الأرض، أو على طاولة، فكيفما أحب فليجلس، فالمعذور معذور،  
 فعن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما أن صفيّة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها جاءت إلى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدّثت عنده ساعة، ثم  
 قامت تتقلّب فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقبلها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مرّ رجلاً  
 من الأنصار فسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم:

((على رسلكما إنما هي صفيّة بنت حبي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! وكبر عليهما، فقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم: إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم عن علي بن الحسن في الصحيح]

وهناك ظاهرة أخرى أمتي؛ لدينا في جامع النابلسي ديوانان، وعدد من الكراسي، أحياناً أفاجأ أن شباباً في ريعان  
 شبابهم يجلسون في هذه الأماكن، والأخوة المعذرون الذين تؤلمهم ظهورهم ليس لهم مكان، فإذا أتم الله على  
 أحدكم بنعمة الشباب والحيوية والنشاط، فليس له أي حق في أن يحتل هذه الأمكنة المريحة جداً، أليس كذلك؟ .  
 خطب زيد بن ثابت بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام خطبةً بليغةً، افتتحها بحمد الله عزّ وجلّ، والثناء  
 عليه، والصلاة والسلام على نبيّه، واختتمها بقوله:

((وإنا نُعاهدك يا رسول الله، على أن نمنعك مما نمنع منه أنفسنا، وأولادنا، ونساءنا، فما لنا لقاء ذلك؟ فقال  
 عليه الصلاة والسلام: الجنة - الدليل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾

(سورة التوبة الآية: 111)

((فما كادت كلمة الجنة تصافح آذان القوم، حتى أشرقت وجوههم بالفرحة، وزهت قساماتهم بالبهجة، وقالوا:  
 رضينا يا رسول الله، رضينا يا رسول الله))

منذ ذلك اليوم، جعل النبي عليه الصلاة والسلام ثابت بن قيس خطيبه، كما كان حسّان بن ثابت شاعره .  
 كان له شاعر، وكان له خطيب، فقد كان في الجاهلية قبل الإسلام أعلى منصب رئيس القبيلة، يليه الشاعر،  
 كمنصب رفيع جداً، فالشاعر وقتها كان وزير إعلام، ينطق باسم القبيلة، يثني عليها، ويردّ على خصومها، ويهاجم  
 أعداءها، هكذا كان الشعر .

فصار إذا جاءت النبي وفود العرب لتفاخره، أو تتأظره بألسنة فصيحة، ندب النبي لهم ثابت بن قيس، لمصاولة  
 الخطباء، وحسّان بن ثابت، لمفاخرة الشعراء، وأشرف عمل أن تكون في خدمة الحق، وأعظم عمل أن توظّف  
 اختصاصك في الحق، ونقول: أنا أختصّ في هذا العمل، فهل لكم حاجة بعلمي؟ .

اليوم التقيت مع طبيب، قلت له: جزاك الله خيراً، وهذا الطبيب منذ خمس أو ست سنوات اتصل بي، وقال: أي أخ

يحب أن يجري عملية، أنا أجريها له مجاناً، جزاه الله خيراً، فبعثنا له أول شخص، والعملية تمت بنجاح، فلماً رأيته والله أكبرته، فقد سخر علمه واختصاصه في خدمة الحق، فهو جراح ماهر، وإذا كان الإنسان المؤمن وكل من له اختصاص، هذا بالطب، وهذا بالمحاماة، وهذا بالقضاء، فإذا كان الشخص محامياً، وأعطى استشارة قانونية لإنسان فقير، وكتب له عقداً، فهل يكون خاسراً بهذا العمل؟ هذا العقد وحده الراجح، والباقي كله خسارة، إذا كنت طبيياً، أو موظفاً فساعد ولو مواطناً من دون أجر، وإذا كنت بائعاً فأعط شيء من إمكاناتك، ومن بضاعتك للفقراء المحتاجين، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، سيدنا ثابت وظف اختصاصه، وطلاقة لسانه، وخطابته في سبيل الحق .

### ما هي البشارة التي أخبر بها رسول الله ثابت وما هي قصتها ؟

وقد كان ثابت بن قيس، مؤمناً عميق الإيمان، نقياً صادقاً التقوى، شديد الخشية من ربه ، عظيم الحذر من كل ما يغضب الله عز وجل، لقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم، ذات يوم هلعاً ، جزعاً، ترتعد فرائصه، خوفاً وخشية، فقال:

(( ما بك يا أبا محمد؟ قال: أخشى أن أكون قد هلكتُ يا رسول الله، قال: ولم؟ قال: لقد نهانا الله جلَّ وعز عن محبة أن نحمدَ لما لم نفعله، وأجدي أحبُّ الحمد، ونهانا عن الخيلاء، وأجدي أحبُّ الزهو، فما زال النبي عليه الصلاة والسلام يهدئ من روعه، حتى قال: يا ثابت، ألا ترضى أن تعيش حميداً، وأن تقتل شهيداً، وأن تدخل الجنة؟ فأشرق وجه سيدنا ثابت بهذه البشري، وقال: بلى يا رسول الله، بلى يا رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: **إِنَّ لَكَ ذَلِكَ**))

مرة بشر صحابياً بالجنة، فعن أبي هريرة، قال سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

((يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ؛ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمْرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ))

[متفق عليه، أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة]

لما نزل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

(سورة الحجرات الآية: 2)

تجنب ثابت بن قيس، مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، على الرغم من شدة حبه له، وفرط تعلقه به، ولزم بيته، حتى لا يكاد يبرحه إلا لأداء المكتوبة، فافتقده النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من السنة، فعلى المسلم أن يتفقد أخوانه، ويسأل عنهم .

فافتقده النبي صلوات الله عليه، وقال:

((من يأتيني بخبره؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، وذهب إليه، فوجده في منزله محزوناً منكساً، قال:



ما شأنك يا أبا محمد؟ قال: شرّ، قال: وما ذاك؟ قال: إنك تعرف أي رجل جهير الصوت، وأنّ صوتي كثيراً ما كان يعلو صوت النبي، وقد نزل من القرآن ما تعلم، وما أحسبني إلا أنني قد حبط عملي، وأنتي من أهل النار. ((

-الآن تجد الشخص يرتكب الكبائر، وهو مطمئن، لكن ثابت بن قيس لأنّ صوته أعلى من صوت النبي صلّى الله عليه وسلّم لم يعد قادراً على النوم، خاف، ما هذه القصة؟ الصحابة كأنهم ليسوا من بني البشر، وكأنهم فوق البشر، أقول لكم: بعضُ الناس يرتكب الكبائر، ويقول: لا تدقق، أهذه معصية؟ أهذا حرام؟ أهذا ربا؟ أهذا زنا؟ أهذا فسق؟ فهو في غفلة، بل في ضياع، فعلامة المنافق أنّ الذنب عنده كالذباية، وعلامة المؤمن أنّ الذنب عنده كأنه جبلٌ جائمٌ على صدره، يكاد يقع عليه، فكلمًا عظُمَ عندك الذنب، كنت أرقى عند الله، وكلمًا صَغُرَ لديك الذنب، كنت أقلّ عند الله- .

((فرجع هذا الرجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبره بما رأى، وبما سمع، فقال: اذهب إليه، وقل له: لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة))

فكانت هذه بشارةً عظيمةً لثابت، وظلّ يرجو خيرها طوال حياته، لقد كان صوته جهوريًا، فكان إذا خطب يعلو صوته صوت رسول الله، بسببِ الخطابة، فالخطيب يحتاج الخطابة إلى صوت جهير، ونبرات حادّة، وتلوين بالصوت .

### إليك قصة استشهاده :

شهد ثابت بن قيس مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المشاهد كلّها، سوى بدر، وأقم نفسه في غمار المعارك، طلباً للشهادة، التي بشره النبي بها، فكان يُخطبها في كلّ مرة، وهي قاب قوسين منه أو أدنى، إلى أن وقعت حروب الردة بين المسلمين ومسيّمة الكذاب، على عهد الصديق رضي الله عنه .

لقد كان ثابت بن قيس أميراً لجند الأنصار، وسالمٌ مولى أبي حذيفة، أميراً لجند المهاجرين، وخالد بن الوليد قائداً للجيش كلّ، أنصاره ومهاجريه، ومن فيه من أبناء البوادي، ولقد كانت الغلبة في جُلّ الجولات لمسيّمة الكذاب، ولرجالها على جيش المسلمين، حتى بلغ بهم الأمر أن اقتحموا فسطاط خالد بن الوليد، وهموا بقتل زوجته، وقطعوا حبال الفسطاط، ومزّقوه شرّاً ممزّق، والفسطاط الخيمة، فرأى ثابت بن قيس يوم ذلك، من تضعع المسلمين، ما شحن قلبه أسىً وكمدًا، وسمع من تنابذهم، ما ملأ صدره همًا وغمًا، فأبناء المدن، يرمون أهلّ البوادي، وأهلّ البوادي يصفون أبناء المدن، بأنهم لا يحسنون القتال، ولا يدرون ما الحرب؟ .

عند ذلك تحنط ثابتٌ وتكفن، ووقف على رؤوس الأشهاد، وقال:

((يا معشر المسلمين، ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، بنس ما عودتم أعداءكم من الجراءة عليكم، وبنس ما عودتم أنفسكم من الانخزال لهم، ثمّ رفع طرفه إلى السماء، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء من الشرك، -أي مسيّمة وقومه- وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، - أي المسلمين- ثمّ هبّ هبة الأسد الضاري، كتفًا لكتف، مع الغر الميامين، وهم البراء بن مالك الأنصاري، وزيد بن الخطاب، أخ سيدنا



عمر بن الخطاب، وسالم مولى أبي حذيفة، وغيرهم، وغيرهم من المؤمنين السابقين، وأبلى بلاءً عظيماً، ملأ قلوب المسلمين حميةً وعزماً، وشحن أفئدة المشركين وهناً ورعباً، وما زال يجالد في كل اتجاه، ويضارب بكل سلاح، حتى أنخنه الجراح، فخرَّ صريعاً على أرض المعركة، قرير العين بما كتب الله له من الشهادة التي بشره به حبيبُه النبي عليه الصلاة والسلام، مثلوج الصدر، بما حقق الله على يديه للمسلمين من النصر))  
وهناك بعض الأحاديث تصف حال الشهيد: لا يحسُّ بألم الجراح إطلاقاً، وأنَّ الله يطلعه على مقامه في الجنة، في أثناء استشهاده، وأنه تفوحُّ من دمائه رائحة المسك، هذا شيء ثابت، وأعظم مقام يناله الإنسان، أن يموت والله راضٍ عنه .

### ما هي الرؤيا التي رآها أحد رجال المسلمين عن ثابت وما هو رأي الصديق بهذه الرؤيا ؟

كان على ثابتٍ درعٌ نفيسة، فمرَّ به رجلٌ من المسلمين، فزعرها عنه، وأخذها لنفسه، وفي الليلة التالية لاستشهاده، رآه رجلٌ من المسلمين في منامه، فقال للرجل:  
((أنا ثابت بن قيس، فهل عرفتني؟ قال: نعم، قال: إني أوصيك بوصية، فإياك أن تقول: هذا حلمٌ، فتضيّعها، إني لما قتلت أمس، مرَّ بي رجلٌ من المسلمين، صفته كذا وكذا، فأخذ درعي، ومضى بها نحو خبائه، في أقصى المعسكر، من الجهة الفلانية، ووضعها تحت قدرٍ له، ووضع فوق القدر رَحلاً، فأت خالد بن الوليد، وقل له: أن يبعث إلى الرجل من يأخذ الدرع منه، فهي ما تزال في مكانها، وأوصيك بأخرى، إياك أن تقول: هذا حلم نائم، فتضيّعها، قل لخالد: إذا قدمت على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، فقل له: إنَّ على ثابت بن قيس من الدين كذا وكذا، وإن فلاناً وفلاناً من رقيقه عتيقان، فليقض ديني، وليحرر غلماني .  
-رسالة واضحة وضوح الشمس، معنى ذلك أن الإنسان حينما يموت، يرى ويسمع، يرى كل شيء، ويسمع كل شيء، الميت ترفرف روحه فوق النعش، في أثناء تشييع الجنازة، يقول:  
((يا أهلي، يا ولدي، لا تلعبنَّ بكم الدنيا، كما لعبت بي، جمعت المال مما حلَّ وحرَّم، فأنفقته في حلِّه، وفي غير حلِّه، فالهناء لکم، والتبعة علي))

قال عليه الصلاة والسلام، يخاطب قتلى بدر، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم، فقال:  
((يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبه بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدتم ما وعدني ربي حقاً، فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يجيبوا، ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر))

[أخرجه مسلم في الصحيح عن أنس بن مالك]

((فاستيقظ الرجل، فأتى خالد بن الوليد، فأخبره بما سمع، وما رأى، فبعث سيدنا خالد، من يحضر الدرع من عند

آخذها، فوجدها في مكانها، وجاء بها كما هي، ولما عاد سيدنا خالد إلى المدينة، حدّث أبا بكر الصديق، بخبر ثابت بن قيس، ووصيته، فأجاز الصديق وصيته، وما عُرف أحد قبله ولا بعده، أُجْزِيَتْ وصيته بعد موته سواه))  
رضي الله عن سيدنا ثابت بن قيس وأرضاه، وجعل مقامه في أعلى عليين .

والحمد لله رب العالمين